

الريان بلود

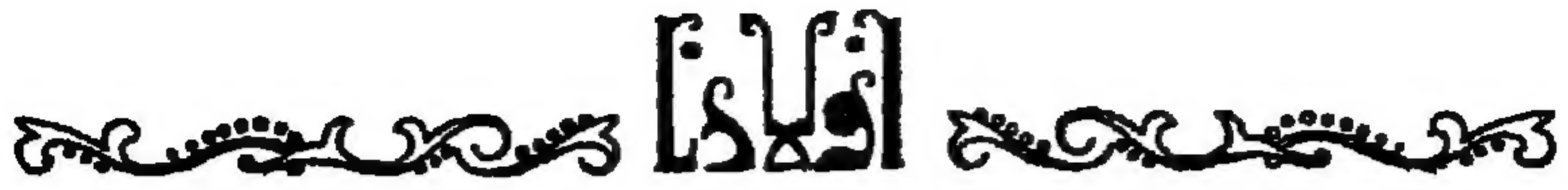
أفكارنا

بقلم: عادل الغضبان



دار المعارف

الربان بلود



١٨

الريان بلود

بقلم: عادل الغضائري

الطبعة الخامسة



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.



1

وقف الطَّيِّب «بلود» أمام النَّافذة يَسْتَقِي آنيةَ الأزهار ، وكانت نظراته موزعة بين رياحينه وأزهاره ، وبين الجموع الزاخرة التي تمرّ بمنزله في طريقها إلى قصر «فيلد» .

وكانت تلك الجماهير الثائرة المتحمسة، مسلحة بمختلف أنواع السلاح ، فمن سيوفٍ إلى عصيٍ إلى رماح إلى فؤوس ، وكان كلٌّ من أولئك المسلحين مابين حائك وصانع ونجار وبنّاء وبدّال ، قد انضم إلى حركة الثورة إلاّ المرضى والضعاف أو الذين عدّهم إخوانهم خوّة جبّناء.

رأى الطيّيب «بلود» هؤلاء الناس الرّاكضين المسرعين فقال في نفسه :



— « إنهم يسعون إلى هلاكهم ! »

وكان طبيبنا « بلود » هذا ، قد قرأ أمس المنشور الذى أذاعه الدوق « مونماوث » الابن غير الشرعى للملك « شارل الثانى » مطالباً فيه بعرش أبيه ، ذلك العرش الذى استولى عليه « جاك الثانى » شقيق الملك المتوفى واستوى عليه . وكان يعرف كذلك أن الدوق « مونماوث » ينوى أن يهاجم فى تلك الليلة جيش الملك بهؤلاء الناس الثائرين المتمردين ، فما وسعته إلا أن يرى لهم ويندب مصيرهم .

والطبيب « بلود » كان من القوة والبأس والإجادة فى ملاءمة السلاح بمقام عظيم ، ولكنه كان متعجرفاً خامداً الحماسة ، لا يندفع فى سبيل الدفاع عن الحق والحرية والدين ، إلى ما تندفع إليه الجماهير دون تبصير ولا روية .

ولما فرغ من سقى الأزهار ، رفع رأسه وهمّ بإغلاق النافذة ، فوقع بصره على الأختين « بت » القاطنتين فى المنزل المقابل لمنزله ، فرآهما تحدد جانبه بنظرات الزرابة والاحتقار ، فابتسم وانحنى مسلماً ، وفهيم أنهما تلومانه صامتتين ، على أنه تخلف عن ركوب الثورة ، وهو الرجل الشاب القوى المتمرس بحمل السلاح .

أغلق الطبيب النافذة ، ورجع عنها غير حافل بتلك النظرات ، فرأى مدبرة المنزل قد أوقدت الشموع فى الغرفة ، وبدأت تعد المائدة لطعام

بالأوامر ، وأخذ حقيبته ثم خرج من المنزل . وكان الشاب قد سبقه إلى الباب ، فرآه قد أحاطت به نساءُ الحى ، وأخذت الأسئلة تنهال عليه ، فعلم « بلود » من ذلك الجزع المرتسم على الوجوه ، أن الدّوق « مونماوث » قد خسر المعركة .

وقفز الشاب إلى جواده ، وأردفَ الطبيب وراءه ، وأعمل قدميه في شاكلى الجواد ، ففسح الجمهورُ لهما الطريق ، وطار الجواد يحمل الطبيب « بلود » إلى عالم جديد من الأحداث والمغامرات . . .

كان « بلود » فى أثناء سيره إلى اللورد الجريح ، يشاهد بعض الفلول من جيش الثوار تجرى عائدةً إلى المدينة ، وتلتفت إلى الورا من حين إلى حين لتطمئن إلى أن جنود الملك لا تتبعها . . .

وبعد قليل وصل « بلود » إلى الجريح ، وحدّق فيه طويلاً ، ورثى لذلك الفتى النبيل الذى كاد يفقد الحياة فى سبيل رجل أحقّ مغامر ، ثم أقبل على الجريح يفحصه فحصاً دقيقاً ، فلما انتهى من فحصه ، سقاه بعض الشراب المنعش وأخذ يضمّد له الجرح .

وبينما هو منكبٌ على الجريح ، سمع فى الخارج وقعَ حوافر خيل ، فاضطرب كلٌّ من كان فى الغرفة حول سرير المريض إلا « بلود » ، فقد استمرّ فى عمله وهو يقول للورد الجريح :

— « صبرك قليلاً ياسيدى اللورد فأكادُ أفرّغُ من عملى . »



— « إني طبيب ، وقد استدعيتُ لأعُثِّي بهذا الجريح . »
— « ها . ها . أنت أيضاً طبيب ... تُخَتِّي جُرْمَ التمرد والعصيان
تحت مُسُوح الطب . . . إن المشقة في انتظارك يا هذا . »
— « أرى أن لك كلَّ الصِّفَات التي تجعل منك تَجَلَّاداً ممتازاً ،
ولكن حَذَارٍ على عنقك ، فهذا الجريح ليس مِمَّنْ يُشْتَقُّ في يُسرٍ وسهولة ،
فهو لورد ومن حقّه أن يحاكمه مجلس اللوردات . . . »

فاضطرب الضابط قليلاً وقال :

— « مجلس اللوردات ؟ ! »

— « نعم . إن هذا الجريح هو اللورد " جلدوى " . »

فقال الضابط لجنوده مفكراً مهموماً :

— « كيفما كانت الحال فهِمَّتْنَا القبضُ على الثَّوَار ، فانقلوا هذا
الجريح مستلقياً على سريره ، وأوصلوه إلى سجن العاصمة ، وسأرفع أمره
إلى القيادة العليا . »

ومدَّ الجريحُ يده إلى « بلود » وقال له بصوت ضعيف :

— « أشكرك ياسيّدِي . . . لقد طوّقتَ عُنُقِيّ بجميلك . . . فإن
كتبتُ لي الحياة فسوف أجتهد في أن أفي بحقَّ جميلك على . . . »

ونفَّذَ فريقٌ من الجنود أوامر الضابط ، فنقلوا الجريح وهو مستلقٍ
إلى سريره ، ثم أصدر إلى بقية جنوده الأمر بالقبض على صاحب المزرعة

والشباب نسيب الأختين «پت» وعلى الطيب «بلود» .

وحاول الطَّيِّب أن يقاوم ذلك الأمر فلم يُفْلِح ، فقد انقضَّ الجنود عليه وطرحوه أرضاً ، وأوثقوا يديه وراء ظهره ، ثم أنهضوه وركب الجنود جيادهم ، وربطوا كلاً من هؤلاء الثلاثة إلى رِكاب أحد الجنود ، وسارت القافلة بهؤلاء المساكين .

وفي ذلك الصباح من شهر يونيو الجميل ، وعلى مرأى من أشجار التفاح التي تنوء في تلك المزرعة بالشمار ، كان «بلود» يفكر في أن الإنسان هو الأم مخلوقات الله ، وأن المعتوه المجنون هو الذي يتوقف حياته على مداواة ذلك الدنيء الحقيق . . .

— « وماذا كنتَ تفعل ؟ »

— « إننى طبيب... وبهذه الصفة دُعيت إلى معالجة اللورد "جلدوى" »

فصاح محامى التاج وهو يحاول أن يزور فى المحلفين :

فمقاطعه « بلود » وقال :

فقطاعه محامي التاج وقال :

— « ومن ذا الذى قال إنى كنت منضمّاً إلى الثوار ؟ ... وهل من المعقول وأنا رجل كاثوليكي المذهب أن أنصوى تحت راية زعيم البر وتستنق ؟ ! »

فانحنى رئيس المحكمة إلى الأمام ، ورفع يده المضمومة الأصابع

— « أَوَلَمْ تَتَرَدَّدْ مَعَ ذَلِكَ فِي تَلْبِيَةِ دَعْوَتِهِ وَاصْطِحَابِهِ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ ؟ »

— « لقد لبَّيتُ نداءَ الواجبِ ، واجبِ الطبيبِ . »

فقال محامى التاج محمداً :

— « أَيْ وَاجِب لِبَيْتِ نَدَاءِهِ أَيُّهَا الْوَقِيحُ ! إِنْ وَاجِبُكَ أَنْ تَخْدُمَ اللَّهَ

والمملك. أما كنت تعرف أنك ذاهب لمعالجة لورد هو من أنصار الدوق

”مونماوٹ“؟

— « بِلَاسِی کُنْتُ اَعْرِف . »

— « وذهبتَ إلى إغاثته غير حافل بواجب الإخلاص للملك ؟ »

فَعِيلٌ صَبِرَ « يَلُودُ » وَقَالَ :

— « كان عليّ أن أعني بجراحه لا بآرائه . »

فدوت هممة تأييد من صفوف المتفرجين ، شاركهم فيها بعض
المحلفين. مشاركة صامتة ، فثارت نائرة محامى التاج وقال يخاطب المحلفين :

— « يا للرجل الوقیح ! إن فی بعض ما قاله هذا الرجل أيها السادة

مدعاة لشنقه. « ثم أتم مرافعته غير شفيق بواحد من المتهمين الثلاثة .

واختلت هيئة المحكمة بعد ذلك للمداولة ، واختلى كذلك المحلفون ،

ولما عادت المحكمة إلى الانعقاد أعلن المحلفون أنهم يعدون المتهمين الثلاثة

مذنبين . فسأل رئيس المحكمة المتهمين الثلاثة عما لديهم من دفاع عن



— « هذا الرجل الذي حدثتك عنه يا عمّاه . »

— « هذا الرجل ؟ إنه جِلْدٌ على عَظْمٍ !!... »

فاشترك ربّان السفينة في الحديث وقال :

— « إنه نحيل البنية ولكنه قوى الأجساد ... لم يمرض قط في أثناء

السَّفر بل تولَّى هو نفسه معالجة زملائه ... فادفع لي به يا سيادة الرئيس

خمسة عشر جنيها ... إنه رجل يتحمل القبط والحرارة . »

وبعد المساومة اشترى « بيشوب » رئيس الحامية الطبيب « بلود » بعشرة

جنهات ، وهكذا حكم عليه القدر بأن يكون عبداً لذلك الخليف الغليظ...

وكان في صوتها رنينٌ من الصّراحة والبراءة وسلامة الطويّة ، كانت قد كسبت بها كلّ من عرفته أو لقيته من الرّجال الأحرار أو العبيد ، وكانت وهي في الخامسة والعشرين من عمرها ، لا تزال فتاةً غير متزوّجة على كثرة من تقدّم إليها من الخطّاب .

فقال لها الرجل :

— « كيف لا تعرفين يا آنسة مَنْ هو ملكُ يَدَيْكَ ؟ »

— « ملڪُ ٻڌي اُٿا ۱۹ »

— « ملكٌ يديك أو ملك يدي عمّك فالأمر سيّان ... اسمي "بطرس" »

بلود“ وثمانى عشرة جنيهات اشتراى بها الكولونل عمك . «

فعرفته الفتاة ، وكانت لم تره منذ ذلك اليوم الذى وصل فيه إلى
الميناء ، وعرفت كذلك ما قيل عنه من أنه طيب ، وتذكرت أنه شفى
الحاكم من الداء الذى ألم به ، فى حين عجز عن ذلك جميع أطباء المدينة ،
كما أنه شفى زوجة الحاكم أيضاً مما كانت تعانيه من القيظ القاتل . . .
ثم قال لها :

— « تقبّلنی یا آنسوہ جزیل شکری، فلو اشترانی غیرک لکنْتُ الْآن

مع زملائي التّاعسين، أعمل في الحقول تحت ضربات السيّاط، ولما استطعت
أن أزاوّل ما أعرف من صناعة الطب . »

— «ولكن الذى اشتراك يا سيدى هو عمى لا أنا .

ولكن كان « بطرس بلود » مخطئاً في حكمه ، وقد برهنت له الأيام على خطئه .

وفي يومٍ من أيام شهر ملو دُخل ميناء «كارليل» سفينة إنجليزية مصابة بكثيرٍ من العطب ، فقد كانت قاتلت سفينتين من سفن الإسبان ، واستولت على ما في إحداهما من أسلاب ، في حين ولّت الثانية الأدبار هاربة . وكان ذلك عملاً من أعمال القرصنة التي كانت شائعة في ذلك العصر ، فتغاضى حاكم الميناء عن الأمر ، وسمح للسفينة بالبقاء في الميناء ، ريثما تُصلح ما فيها من عطب ، كما سمح بإنزال الأسرى الإسبانين لمعالجتهم ، وعهد في تلك المعالجة إلى الطبيب «بلود» لأنه كان يجيد التكلم بالإسبانية ، ولأنه ذليلُ الشأن في السلم الاجتماعي ، فقام بمهمته على أحسن وجه ، وإن كان يكره الإسبانين بعد إذ مكث سنتين سجيناً في أحد سجونهم .

وبينما هو في أحد الأيام -يجبُرُ عِظْماً مهيباً لأسيرٍ من هؤلاء الأسرى، إذ سمع صوتاً أجشاً يقول له :

— « ماذا تفعل هنا ؟ »

فقال « بلود » دون أن يرفع رأسه عن مريضه :
 — « أَجْبُرُ عَظْماً مَهِيضاً . . . »

— « إني لأرى ذلك أيُّها الوقح ؛ ومن سمح لك بجَبْرِ العظام ؟ »





3

لم تكن تلك السفينة التي دخلت الميناء وهي رافعة العلم الإنجليزى
إلا سفينة إسبانية ، جاءت تثاراً للأسطول الإسباني من الهزيمة التي
لحقت منذ أيام بسفيتين من سفنه .

وكانت هذه السفينة وعلى رأسها الربان « دون دياجو » هي التي هربت
عندما هاجمتها السفينة الإنجليزية الراسية في ميناء « كارليل » تُصْلِح ما بها
من عَطَب .

وصلت الأنباء إلى الربان أن السفينة الإنجليزية قد التجأت إلى ذلك
الميناء ، وانتهى إليه أيضاً أن بقية قطع الأسطول الإنجليزي بعيدة عنها ،



فسمع صوتاً مهابتاً يقول له :

بك . فأنت بين أصدقائك القدماء ! »

ملیاً فی صاحبہ ثم صاحب مدهوشاً :

— « بطرس بلود » ؟ ! إذن أنت ... »

فقطاطعه « بلود » قائلان :

— « نعم أنا وأصدقائي . . . »

الرجال لتستحقون مكافأة سنوية . . . »

فقال « بلود » متهماً :

— « وما مقدار المكافأة السنوية وما نوعها ؟ »

فقال الكولونيل :

عقوبتکم . »

— « ألا تزال تتألم ؟ »

ولم يكتف بذلك بل أخذ يفحص نبضه فقال له « دون دياجو » :

— « أَنْتَ طَيِّبٌ ؟ »

— « أمارسُ مهنةَ الطبِّ ممارستى لكثير من المهتمِّين غيرها . »

— « ومن تكون أيُّها الرجل الذي يرتدى ملابسى ، ويدخل علىّ فى

مقصورتی و علی سفینتی ! »

فتبسم الرجل وقال :

— « يالوحُ عليك يا سيدي أنك لا تزال تهذي . . . فهذه السفينة

لیست لاک و انما ہی سفینتی . . . و هذه الملايسُ هی كذلك ملکُ یدی .»

فقال « دون دياجو » مستغرباً مدهوشاً :

— « سفینتک ؟ ! وملابسک ؟ ! أليست هذه السفينة ” سنکولاجاس“

اعلمك تزعم بعد هذا أنك "دون دياجو" .

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— «كَلَّا» لَنْ أَرْعِمَ هَذَا . . . فَأَنَا الرَّبُّ بَنَانُ "بلود" وهذه السفينة هي

سفینتی . وهذه الملابس الفاخرة هي ملابسی . بحکم حق الغزو

والاستيلاء . أما أنت فلأنك أسيرى . »

— « لستَ إِنْ رَجُلًا إِسْبَانِيًّا . »

— « كلا : فأنا رجلٌ إرلنديٌّ وإن كنتُ أجيدُ التكلمَ بالإسبانية .

— « قلت لى إننا ذاهبون إلى جزيرة "كوراسو" متبعين طريقَ الجنوب وإننا سوف نستديرُ منها عائدين إلى الشرق ، ولكننى أرى السفينة تتجه إلى الشمال بل إلى الشمال الغربى ، ودليلى على ذلك هذا الوضعُ العالى الذى ترى عليه نَجْمُ القُطْب . . . »

فنهض « بلود » وهمّ بالكلام بعد إذ اصفرَّ وجهه قليلاً ، قرأى « دون دياجو » يخرج من مقصورة القيادة ، وينزل درجات السلم المفضية إلى ظهر السفينة ، فاستدعاه « بلود » فأقبل فقال له :

— « تعال احكمْ بينى وبين صديقى "بت" فى مسألة نَجْمِ القطب ، أَوْضَعُهُ هذا دليلٌ على أننا نتجه إلى الجنوب أم إلى الشمال ؟ » فقال « دون دياجو » دون تردد ولا تلعثم :

— « دليلٌ على أننا نتجه إلى الشمال بل إلى الشمال الغربى ، ولا أكتمك يا عزيزى "بلود" أنه سُهِيَ عن بالى عند الظُّهر أن أحدَ مركز السفينة ، فاتَّجَهْتُ هذا الاتجاه ، وقد كنتُ أرجو أن لا يلتفت أحد إلى هذا الخطأ ربّما أصحَّح الوضع . . . وكيفما كان الأمر ، فسوف تلوحُ لنا الجزيرة فى صباح غد . . . »

كان الجواب جلياً واضحاً ، فاستأصلَ كلَّ ريبة علقَت فى النفوس . وقُبَيْلَ مطلع الشمس فى صباح اليوم التالى ، كان « بلود » على ظهر السفينة يحدِّق فى الأرض التى لاحت لعينيه ، ولكنه لم يكد يرى

ذلك الخطّ الأخضر المستطيل الذي يمتلأ الأفق من الشرق إلى الغرب ،
حتى قَطَب حاجبيه ، فجزيرة « كوراسو » ليست على مثل هذه المساحة
الطويلة .

وبينما هو "يُمنَعِنُ" في التفكير لفتت نظره سفينة "ضخمة تقربُ من سفينته"، ثم سمع صوتاً يقول له بلهجة ساخرة :

— « ها هي ذى أرض الميعاد . . . »

فالتفت إلى مصدر الصوت، فرأى « دون دياجو » يتسم ابتسامة
تَكَرَّاء ، فسار إليه مغيظاً مُحْضَنَقاً وهو يقول له :

— « أيتها الخائن القدر ! أتريد أن أقولَ لك إلى أين جئتَ بنا ؟ إلى جزيرة "كوبا" أو إلى جزيرة "إسبانيولا" ولعل هذه الجزيرة الثانية هي الأصحُّ لأنها كانت الأقرب إلينا . . . »

اصفَرَّ وجهه « دون دياجو » وتراجع قليلاً إلى الوراء ، ثم هجم على « بلود » وهو يقول له :

— « أيها الكلبُ الإنجليزي ! إنك لتعرفُ أشياء كثيرة ! »

والتَّحَمَّ الرَّجُلَانِ جَسَماً يَجْسَمُ وتُدْحَرَجُ مَعاً إلى أرض السَّفِينَةِ غير أن
« بلود » كان أَصْلَبَ عوداً ، وأَقْوَى عَضْلاً ، فما هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَاتٍ
حَتَّى كَانَ الْإِسْبَانِيُّ مَنْطَرِحاً إِلَى ظَهْرِهِ ، ، وَرُكْبَةً « بلود » فَوْقَ صَدْرِهِ ،
وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَانَ يَبْتَسِمُ فَمَا عَتَمَ أَنْ خَاطَبَ غَرِيمَتَهُ قَائِلاً :

وأمر « بلود » بعضَ رجاله فتزلوا بالأسير الإسباني « دون دياجو » إلى غرفة المدافع ، فربطوه إلى فتوة أحد تلك المدافع ، ثم أمر فجيء ببقية الأسرى ، فلما شاهدوا زعيمهم على تلك الحال ، صاح أحدهم مُروّعاً :
— « أبى ! »

كان صاحب ذلك الصوت الهالع ابن « دون دياجو » ويسمى « دون إسطبان » فأخذ يستغيثُ بالرُّبان « بلود » ويتوسَّلُ إليه أن يُبقي على حياة أبيه فقال « بلود » :

— « لا أنوى أن أرسل أباك يا فتى إلى حيث يستحق أن يُرسل . . .
إن خيانة أبيك هي التي قرَّبتنا من سفينة عمك أمير الأساطيل الإسبانية . . .
فعمّا قريب ستصل إلينا ، وسيعرف عمك عدَدنا القليل ، وسوف يُصلِّدنا ناراَ حامية . ومهما كان الأمر ، فسوف ندافع عن أنفسنا ، ولكن اعلم أن أوَّلَ طلقة مدفع ترمينا بها سفينة عمك ، فسوف نجيب عنها بهذا المدفع المربوط أبوك إلى فتوته . . . »

فاضطرب الفتى أيما اضطراب ، وقال وقد علتة صُفرةُ الأموات :

— « أما من سبيل إلى تجنب القتال ؟ »

فقال « بلود » :

— « هناك سبيلٌ واحدة وهي أن يذهب أبوك ”دون دياجو“ فيقنع أخاه بأن كلَّ شيء على ما يُرام في هذه السفينة . . . ولكن ”دون ديلجو“







٦

كانت جزيرة السلحفاة إحدى الجزر التابعة لفرنسا، وكان ميناء « كايانا » ملجأ حصيناً للقراصنة يلتجئون إليه ، وكانت فرنسا تساعدهم سرّاً على غزو السفن الإسبانية وسلبيها .

ولمّا وصل « بلود » إلى ذلك الميناء كان جُلُّهم أن يجد سفينة قاصدة إلى فرنسا أو هولندا ، فيركبها ويرحل إلى أحد هذين البلدين ، ولكنه مكث ينتظر أسابيع طويلة دون جدوى ، حتى نفذت موارده ، وأخذ اليأس يدبُّ إلى فؤاده

وما برحت صورة الفتاة « أرابلا » تملأ قلبه وذهنه وخياله ، غير أنه ما كان يأمل لحظة واحدة أن تشاطره « أرابلا » حبه وهيامه ، وهذا

التالية محملاً بالغنائم ، كان صدّي شجاعته وبطولته وأعماله الباهرة قد سبقه إلى الجزيرة ، بل كان ذلك الصدّي قد تجاوز البحار فوصل إلى أوربّا ، وأصبح حديث الناس وشغلهم الشاغل ، حتى إن سفير إسبانيا في لندن قد احتجّ إلى الحكومة على أعمال « بلود » فقيل له إن الرُّبَّان « بلود » ليس من عمّال ملك بريطانيا ، وإنما هو نائر « عبْد » هارب ، فكلُّ عمل عمله الحكومة الإسبانية في سبيل الضرب على يديه ، يؤيِّده الملك جاك الثاني .

وكانت هذه الأخبار تصل إلى « بلود » فلا يحفلُ بها . كذلك وصل إليه أن « دون إسطنبول » وعمه أمير الأساطيل قد أقسما على أن يأسرا حياً ، ويشنقاها على سارية من سواري سفينة الأمير ، فما اكترث « بلود » لكل تلك الأنباء .

وعاد « بلود » إلى جزيرة السلحفاة ليصلح ما أصاب سفينته من عطب ، فبينما هو في يوم من أيام جالس* إلى اثنين من رجاله في إحدى الحانات ، إذ تقدم منه رجل ، في رداءٍ أحمر ، مزين بالأوسمة المرصعة بالذهب وقال له :

— «أنت المدعو» "بلود" ؟

فحدّق « بلود » في الرجل قبل أن يجيبه ، فرآه طويل القامة ، مفتول الساعدين ، قوى الأجناد ، خفيف الحركة ، قد وضع كفه على مقبض

سيفه ، وتآلق في إصبعه خاتم من الألماس باهرُ الشّاع . فلما فرغ « بلود » من التّحديق فيه قال له :

— أجل أنا ” بطرس بلود “ .

فلم ينتظر الرجل الغريب حتّى يأذن له « بلود » فى الجلموس ، بل جلس إزاء « بلود » وقال له :

— « أنا ” لوفسُور “ ولعلك سمعت بى قبل اليوم ! »

وكان « بلود » ورفيقاه يعلمون أن « لوفسُور » هذا ربّان سفينة ذات عشرين مدفعاً ، جاءت قبل مجيئهم بعدة أيام ، وكانوا يعلمون أيضاً أن ملاّحيها هم من الفرنسيين الذين طردهم الإسبان من جزيرة « إسپانيولا » وأن ربّانهم هذا مشهور بالشجاعة والقوّة والجرأة ، حتّى إنه طلب يد الأنسة « مادلين » ابنة حاكم الجزيرة المسيو « أوجيرون » فطرده أبوها ، فأقسم ليتزوّجن ابنة الحاكم ولو اتّحد عليه جميع الآباء فى العالم .

هذا هو الرجل الذى جاء يقترحُ على « بلود » أن يكون شريكه فى السّراء والضّراء ، وفى الغزو والنّهب . فلم يجبه « بلود » لأوّل وهلة إلى ما طلب ، بل وعده أن يفكر فى الأمر ، ذلك أنه قد شعر نحو هذا الرجل بكراهية طبيعيّة لم يعرف سببها ، غير أن عَرْضَه السخّيّ ، وضمّ قوّاته إلى قوّات « بلود » ليس بالأمر الذى يُرفّضُ دون تروٍّ ولا تفكير .

ومضى على هذا اللقاء أسبوع كانت المفاوضات فيه دائرة بين



السفينة الهولندية يتبعهما عددٌ من الملاحين ، فصاح الربان الهولندى فى وجه « لوفسُور » وقال : « أيها السيد ” لوفسُور “ إنَّ عمالك هذا إهانة لا تغتفر ! ماذا جئت تطلب فى سفينتى ؟ »

فحدَّق « لوفسُور » فى الربان الهولندى ، وفى الفتى الذى وقف وراءه ، فعرف فيه ابن الحاكم « أجيرون » فقال :

— « جئتُ أطلب ما أبتغى . . . وبما أنَّك قد دافعتَ عن نفسك فلانى أعدُّ سفيتك غنيمة شرعية من غنائم الحرب . »

وفى هذه الأثناء بدت الأنسة « مادلين » فى شُرْفة مقصورتها وهى تنظرُ إلى بطلها نظرات الإعجاب ، فرآها « لوفسُور » فصاح فرحاً وطار إليها ، فاعترض رُبَّان السفينة طريقه ، فعاجلته « لوفسُور » بضربة ساطور على أمِّ رأسه جدَّلة صريعاً ، ثم قفز من فوق الجثة ونحف إلى حبيته .

وكانت هذه قد شاهدت ذلك المنظر الفظيع ؛ فاضطربت من رأسها إلى أخمص قدَمها ، فلما وصل إليها « لوفسُور » وحاول أن يضمَّها إلى صدره ، وقفَّته وبادرته قائلة : « لماذا قتلته ! ؟ »

— « أراد أن يحولَ بينى وبينك فاستحقَّ الموت . . . »

وطغى الحبُّ على فؤاد الفتاة ، فأغمضت عينها مستسلمةً حينما حملها « لوفسُور » بذراعيه ، وسار بها إلى سفينته . وكان معاونه قد ربط الفتى

وبعد مسيرة ساعة ، همَّ « لوفسُور » أن يأمر رجاله بالاستعداد للقتال ، فأخبره برجُ المراقبة أن إحدى السفينتين هي « أرابلا » فتنفّس « لوفسُور » الصُّعداء . أما معاونه فلم يرتح لذلك الخبر فحدّق في رئيسه وقال له : « ماذا نحن قائلون للرُّبَّان " بلود " ؟ »

— « لا شيء . »

— « ولكن سوف يعلم كُلُّ شيء . . . »

— « لن يعلم شيئاً قبل إتمام المفاوضة مع الفتي " أوجيرون " » ولم تنقُص نصفُ ساعة على هذا الحديث حتى كانت السفن الأربع تطرح مراسيها في ميناء جزيرة قفراءٍ جرداءٍ هي جزيرة العذراء . استقل « لوفسُور » أحد الزَّوارق ، فسار به إلى السفينة « أرابلا » في صحبة معاونه ورجلين من رجاله ، فاستقبله « بلود » مسروراً ضاحكاً ، وقاده إلى مقصورته ، وأعلمه أن السفينة التي تصحبه هي السفينة الإسبانية « سنتياجو » وأنه أسرها واستولى على ما فيها من غنائم ، وسوف يقاسمه تلك الغنائم وفقاً لما بينهما من شروط .

على أن الرُّبَّان « بلود » قطَّبَ حاجبيه لما علم أن شريكه قد هاجم سفينةً هولنديةً ، ولكنه استسلم بعد قليل إلى الأمر الواقع ، ثم اتفق الشَّريكان على أن يغادر « بلود » الميناء ، ويذهب بالسفينتين « أرابلا » و « سنتياجو » إلى جزيرة السلحفاة وعلى أن يلحق به شريكه حالما ينتهى من إصلاح سفينته .

وأمكنك من الوصول إلى أبيك ، ولكن على أن تعودَ إلى "بالجزية التي
أطلبها ، وقدرها عشرون ألف قطعة من الذهب ... وسأحتفظ بشقيقتك
رهينةً عندي حتى ترجع ..."

فرفع الفتى رأسه وحدق طويلاً في ذلك القُرْصان الجريء وقال له :
 - « أرفضُ ما تطلب ، فإنما أنت قُرْصان لا شرفَ لك ولا ذِمَّام . »
 فقال « لوفسّور » :

— « أنسيتَ أيها الغلام أننى أستطيع إسكاتك وإخضاعك لما أريد؟ »
— « كلاًّ وألف مرة كلاًّ فما أنا من يَقبِلُ ما تعرضه علىّ . »

فنظر إليه « لوفستور » شزراً ، وكان في يده حبلٌ " غليظٌ " يلهو به ،
فأخذ يجيل طرفه بين الحبل وعُنُقُ الفتى في وحشية وقسوة ، واتفق أن رآته
الفتاة وأدركت ما يجول بخاطرهِ ، فتملكها الرعب ، وفَلَتَتْ مِنْهَا صَبِيحَةً
جازعة ، وخانتها قواها فانطرحَتْ إلى الأرض .

واستأنف « لوفستور » الحديث وقال :

– « كُنْ بصيراً رشيداً يا فتى ، فما قيمة مبلغ من المال لا يتجاوز
عشرين ألف قطعة من الذهب؟ . . . إن ثروة أبيك طائلة ضخمة ،
واحمد الله على أنى لم أغال في الطلب . »

وما إن لفظ كلمته الأخيرة ، حتى سمع الحاضرون صوتاً ساخراً يقول :
 — « ولماذا تطلبُ منه عشرين ألف قطعة من الذهب ؟ »



إن شئت أن تحتفظ بالفتاة . « لوفسُور » متضايقاً :
 — « ومن أين آتيك بهذا المبلغ الجسيم ، بل من يستطيع أن يدفعه ؟ »
 — « يدفعه كلُّ من أراد أن يحتفظ بالفتاة رهينةً على مثل ذلك
 المبلغ . . . وقد أكون ذلك الرجل . »
 وأخرج « بلود » من جيبه كيساً صغيراً مملوءاً باللآلئ الكبيرة ، فنادى
 معاون « لوفسُور » وأراه إيَّاهما ، وطلب منه وهو الخبير باللآلئ والجواهر
 أن يقدر لها ثمناً ، فقد رثمها بمبلغ يزيدُ عن المبلغ المطلوب فقال « بلود » :
 — « إنَّ نصف عدد هذه اللآلئ من نصيب بحارة ”الصاعقة“ فهي هي
 ذى ، أما الباقي لمن نصيب بحارة ”أرابلا“ وسأعرف كيف أوزعها بينهم . »
 ثمَّ التفت إلى أحد رجاله وقال :
 — « تستطيع أن تقود الأسيرين إلى السفينة ”أرابلا“ . »
 فاستولت على « لوفسور » سورةٌ من الغضب والحق ، فاقرب من
 « بلود » وكفَّه على مقبض سيفه وصاح فيه :
 — « لن تأخذهما وأنا حيٌّ أرزق . » فقال « بلود » :
 — « سوف يمضيان إلى السفينة إذن بعد أن تموت . . . إنَّ إخفاء
 الغنائم أمرٌ عقابه الشَّنق ، ولكن إذا كنت تُؤثِّر أن تموت والسيف في
 يدك فأنا رهْنٌ إشارتيك . »
 وفسَّحَ الرجال في المجال للرَّجلين ، فتصاولا في مبارزةٍ عنيفةٍ خراً
 « لوفسُور » على أثرها جثةً هامدة .

معهم كنوزهم و ثرواتهم . و لَمَحَ السفن الإسبانية متجمعة عند مدخل البحيرة
نحى ظهرها قلعة كبيرة . وكان «بلود» عندما دخل البحيرة قد ظن
أن القلعة خالية من المدافع والرجال ، ولكن لو شاء الآن أن يخرج من
البحيرة ، لأصلته القلعة فضلاً عن السفن الإسبانية ناراً حامية ، ولا سيما
أن قائد الأسطول الإسباني إنما هو عدوه اللدود دون «ميجل» أمير
الأساطيل ، ومعه ابن شقيقه الفتى دون «إسطنبول» .

جالت هذه المعاني كذلك في رؤوس البحارة، وأدركوا أنهم وقعوا في فخ لن يخرجوا منه وهم أحياء، فهمهموا ساخطين متذمرين، وكادت الفتنة تلعب برؤوسهم فيثورون على قائدهم الربان « بلود » .

وبرز « بلود » بينهم في الوقت الذي وصل فيه التدمير إلى أقصاه ،
فبكلمة بسيطة هادئة ، أخذ نار تلك الفتنة التي كان يُذكيها معاون
« لوفسُور » القاتل ، وأفهم رجاله جميعاً أنه لولار عونة ذلك المعاون الذي
تلكاً في البحار وأخّرهم ثلاثة أيام ، لكانوا سبقوا الأسطول الإسباني
وأصبحوا سادة الموقف . فصاح فيه أحد الرجال :

— « ما علينا إذن إلا أن نقبل شروط الأميرال الإسباني فقد وعدنا أن نخرج من البحيرة سالمين إذا أطلقنا سراح الأسرى، وأعدنا الغنائم ولم نحرق المدينة . » فتبسم « بلود » ولم يشأ أن يقول لهؤلاء الرجال إنه لا يثق بالأميرال الإسباني ولا بوعوده . وبعد أن سكت قليلاً قال :

فى الخروج من فم البحيرة ، فالحسائر التى ألحقها بسفن العدو كفيّلة بأن ترجّح كيفيّة فى تلك المعركة البحرية ، وتعدّه هو الفائز المنتصر . وفى تأثير ذلك الرأى وإيماناً به ، أخذ « بلود » حالما عاد إلى المدينة واستقرّ فى مكتبه من قصر المحافظ ، يكتب رسالةً إلى دون « ميجل » هذا نصّها :

« أعتقد أنى أوضحت لكم يا صاحب السعادة فى هذا الصباح ، بأنى كنت سيّد الموقف فى معركة كنتم فيها أكثر سُفناً منى وأوفرَ رجالاً ومدافع . وبعد الخسارة التى ألحقها بكم سيتعدّر عليكم أن تنفّذوا وعيدكم أو تضطرونا إلى القبول بشروطكم .

على أنى قبل أن أنزل بكم الضربة القاصمة ، أود أن أمكنكم للمرة الأخيرة من شروط التسليم ، فإنى أقبل أن أبقى على مدينة « مارا كايبو » فلا أمسّها بسوء ، وأن أطلق سراح الأسرى الذين أسرْتهم فيها ، على أن تدفعوا لى خمسين ألف قطعة من الذهب ، ومئة رأس من الأغنام ، وتفتحوا لى طريق الخروج من البحيرة إلى عرض البحر . وسأحتفظ بأعيان المدينة رهائن لدى ، حتى أخرج من البحيرة ثم أعيدهم إليكم .

فإذا رفضتم هذه الشروط يا صاحب السعادة فإنى سوف أحطّم سفنكم وقلعتكم التى تظنّونها أمنع من عُنّاب البحر ، وأهدم مدينة « مارا كايبو » ولا أترك فيها حجراً فوق حجّر . »

واختار « بلود » محافظ المدينة رسولاً يحمل هذه الرسالة إلى الأميرال





4

كانت موقعة « ماراكايبو » عملاً باهراً من أعمال الرُّبان « بلود »
فطارت له سُبحةٌ عظيمة ، أخذت تنتقل من بحرٍ إلى بحرٍ ، ومن جزيرةٍ
إلى جزيرةٍ ، حتى وصلت إلى جميع أنحاء أوربا .
وترتب على تلك الموقعة مراسلاتٌ دبلوماسية بين بَلَاط « لندن »
وَبَلَاط « مدريد » فتنصَّلت « لندن » من الرُّبان « بلود » ومن أعماله ،
ولم تعد نفسها مسئولة عن عمل قُرُصان من القراصنة .
أما « دون ميغل » فقد عنتفه المجلس الأعلى للأسطول تعنيفاً شديداً ،
فأخذ يحدّث في البحث عن الرُّبان « بلود » ليظفر به حياً أو ميتاً ، فيرضى
عنه المجلس الأعلى ويشمله ملك الإِسبان بعفوه .

وانقضت سنة على هذه الحوادث ، حتى كان اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٦٨٨ ، وكانت ثلاث سفن في ذلك اليوم محتويةا ببحر « الأنتيل » : كانت الأولى السفينة « أرابلا » متجهة إلى جزيرة السلحفاة بعد أن أبعدتها العواصف والزوايع عن شقيقاتها .

وكانت الثانية سفينة إسبانية معقودة للدواء للأميرال «دون ميجل» وكانت إلى الجنوب الغربي من شبه جزيرة «إسبنيولا» .

وكانت الثالثة سفينة إنجليزية راسية في ميناء فرنسي يسمى «القديس نقولا» ويقع في الشمال الغربي من شبه جزيرة «إسبنيولا» . وكانت هذه السفينة في طريقها إلى «الهاماييك» وفوق ظهرها اللورد «جوليان ويد» ابن عمه رئيس الوزراء قد أرسله في مهمة دقيقة خطيرة .

وكان حاكم «الهاماييك» في تلك الآونة الكولونل «بيشوب» اختارته الحكومة الإنجليزية لذلك المنصب لما تعرفه عنه من قسوة وصرامة ، فقبل هو ذلك المنصب على أمل أن يلقى في يوم من الأيام الرّبّان «بلود» ويذيقه شرّ أنواع العذاب .

اشتدت وطأة الكولونل «بيشوب» على القراصنة ، ولكن بقي الرّبّان «بلود» حرّاً طليقاً ، يجوب البحار ، ويغرق السفن الإسبانية ، ويستولي على كنوزها ، ويثير الاحتجاج تلو الاحتجاج بين إسبانيا وإنجلترا . ولما ضاقت بالكولونل «بيشوب» الحيل ، وتوالى عليه كلام حكومته

— « نعم عرفته ورأيتُه غيرَ مرَّةٍ ... »

— « وما رأيُك فيه ؟ »

— « إنه بائس تاعس . »

— « هل تعرفين قصته ؟ »

— « لقد كان رَواها لي فحزنتُ له ... ثم لما انتهى إلى ما يقوم به

من أعمال القَرَصنة ، جُزمتُ بأنه لم يصدقني الخبر فيما رواه لي . »

— « صحيحٌ أنه لم يحارب في صفوف الشُّوار ، وأنه أخذَ بشبهةٍ ضعيفة ،

وكيفما كان الأمرُ ، فقد استعاض عما لحقَ به من ظُلم ، بثروةٍ ضخمةٍ

نقل جانباً كبيراً منها إلى فرنسا ، بمعاونة المسيو "أوجيرون" أبي خطيبته . »

سكت « أرابلا » حزينَةً مفكرةً ثم قالت :

— « لو صحَّ ما تقول يا سيدي اللورد لكان هجرَ القَرَصنة ... فلو أنه

يحبُّ امرأةً من النساء ، وكان على ما تقول من الغنى والثراء ، لما عاش

في وسط الأخطار والمغامرات . »

— « أنتِ على صوابٍ يا آنسة ، ويدعشني أنه حتى اليوم لم يتزوج

ابنة المسيو "أوجيرون" مع أنه قَتَلَ رجلاً بسببها ! » فصاحت « أرابلا ،

مستنكرة :

— « أَقَتَلَ رجلاً بسببها ! »

— « نعم ... قَتَلَ رجلاً فرنسيّاً يدعى "لوفسور" لأنه كان يزاحمه

على حبِّ الفتاة ... ولكن قيل لي إنه قتله في مبارزةٍ شريفة ... »

— « ألا ترى أنتى صريحٌ فى قولى وعملى ؟ أفعلُ ما أفعلُ ثم أعلمك
منُ أنا دون مواربة ولا رياء ؟! فنحنُ معشرَ الإسبانين قومٌ صُرحاء ،
نضربُ ضَرْبَتَنَا ولا نتوارى مثلكم معشرَ الإنجليز وراءَ "بلود" أو
"مورجان" أو من لفَّ لفَّهما من القراصنة . »

— « إن "بلود" يا سيدى ليس من رجال البحرية الإنجليزية . »
— « لستُ أدرى . . . فالمهمُ لَدَى الآن ، مبلغُ الفِدية التى سأفرضها
عليك وعلى الأنسة "بيشوب" ، فعمَّها الكولونل من أغنى الأغنياء ،
ولعلك تماثله ثروةً وغنى . »

ثم حيا « دون ميجل » أسيريه وانصرف ، فقال اللورد « ويد » للآنسة
« أرابلا » :

— « لقد جئت إلى جزر "الأنثيل" لأحاول أن أقضى على القرصنة ،
فرايت أن الفرنسيين على حق فى تغاضبهم عن أعمال القراصنة وتشجيعهم
على قتال هؤلاء الإسبانين السفهاء . » فقالت الآنسة « أرابلا » مبتسمة :
— « لا تخشَ بأساً يا سيدى اللورد ، فالمال هو طلبَةُ الرجل
وفقدانه أهون الشئون . أما هؤلاء البحارة الذين ذهبوا ضحية الغدر
والقرصنة ، فليرحمهم الله ، ويشمل الأحياء منهم بعطفه ورعايته . »
وأمعنَ « دون ميجل » فى إكرام أسيريه ، وخضَّصَ بكلِّ منهما
غرفةً واسعةً جميلةً الرِّياش ، وسمح لهما بالسَّير فى أنحاء السفينة ، ورجا
منهما أن يشاطروه الطعام فى الغرفة الكبرى .

إطلاق النار، فما شكّت الأنسة «أرابلا» واللورد «ويد» أن الدّخاز سينجلى عن سفينة محطّمة تبتلعها الأمواج .

ولقد أدهشهما وأدهش « دون ميجل » أيضاً أن السفينة لم تدافع عن نفسها فما انطلقت منها قذيفة واحدة ، ولكن ما كاد هؤلاء الثلاثة يفكرون مثل ذلك التفكير حتى دوت في الفضاء أصواتُ القذائف ، وانصبَّت على مقدمة سفينة «دون ميجل» فأحدثت فيها الثغرات وأمالها ، فلن ينقضي وقت طويل حتى تستقر في قعر البحر .

وكانت الحطّة التي اتبعتها تلك السفينة الجريئة ، أنها حين أصبحت على مرمى القذائف من سفينة « دون ميغل » غيرت موقفها في الحال ، واتجهت غرباً تحت ستار الدخان ، وخطّت في سيرها دائرة كبيرة فوصلت إلى وراء سفينة « دون ميغل » فصبّت عليها نيرانها .

وما إن يخرج « دون ميجل » واللورد « ويد » والأنسة « أرابلا » من
ملجئهم ، حتى يباغتوا بالسفينة الهاجمة تقترب من سفينتهم الغارقة فلما
كادت تلتصق بها ، هجم منها الرجال يتقدمهم قائدهم ولم يكن إلا الرُّبَّان
« بلود » . اقترب « بلود » من « دون ميجل » وقال له :

— « ها إن الأقدار تجمعنا ثانية يا سيدى الأميرال ! »

— « وماذا تريد مني أيُّها الرجل ؟ ! »

— « لا شيء يا سيدي الأميرال سوى أن تركب القوارب أنت ومن »



الربان يلمود

— « الرُّبَّان "بلود" . . . أنت الربان "بلود" ؟ ! »

فقال « بلود » بلهجة حزينة ساخرة :

— « ومن أكون إذن سوى ذلك القُرْصان اللص ؟ ! وكيفما كان الأمر ففضل يا سيدى غير مأمور وأوصل الآنسة "بيشوب" إلى سفينتى قبل أن تغرق هذه السفينة أو نغرقها . » وتركهما وانصرف .

ولما انبثق الفجر فى اليوم التالى ، كان اللورد « ويد » والآنسة « أرابلا » يتمشيان على سطح السفينة فقال اللورد :

— « لماذا تكرهين هذا الرجل يا آنسة بعد إذ أنقذنا من الموت ؟ إننى أراه رجلاً كاملاً الصفات يستحق كلَّ تجلَّةٍ وتوقير . . . »

— « ولماذا لا تحمل قريبك رئيس الوزراء على ضمِّه إلى البحرية الإنجليزية ؟ ! »

— « لقد فعلتُ هذا يا آنسة ، وإنى لأحمل أمر التعيين فى جيبى . »

ثمَّ شرح لها المهمة التى أوفد من أجلها إلى جزر « الأنتيل » وهى أن يسعى فى لقاء الرُّبَّان « بلود » وحمله على هجر القرصنة ، والانضمام إلى البحرية الإنجليزية ، بعد أن يَعِدَّه بالعفو عنه وعن رجاله .

ومرَّ الرُّبَّان « بلود » فى هذه اللحظة بضييفه ، فهرغ إليه اللورد ، وطلب منه أن يكون صديقه ، وذكر له المهمة التى جاء من أجلها إلى جزر « الأنتيل » فقال « بلود » على مسمع من الآنسة « أرابلا » :





11

ابتعدت السفينة عن الميناء، وأصبحت على بُعد خمسة أميال أوسنة، فوقفها « بلود » قليلاً، وأنزل منها زورقاً إلى الماء، وأقبل على الكولونل يودعه ويأمره بالتزول إلى الزورق والعودة إلى الميناء، فتنفس الكولونل الصعّداء وقد كان عرضةً للهواجس والخوف.

فلما استقر في الزورق ، حياه «بلود» وتمنى له عودة حميدة وقال له :
 - « هذه هي المرة الثانية التي أضطر فيها يا سيدي الكولونل ، إلى
 استخدامك رهينة تدرأ عني الأخطار ، فحذار من المرة الثالثة ، فقد
 تكون وخيمة العاقبة عليك ! »

١ وفي إبان هذه الحوادث، كانت أوروبا ميداناً للحروب التي شنتها

ولقد كان اللورد صريحاً مع الكولونل عندما طلب منه يد ابنة أخيه
فقد قال له في جملة ما قال :

— « ولستُ أكتسك يا سيدى الكولونل أنه قد يكون هناك عقبة تقوم
دون تحقيق هذا الزواج . . . تلك العقبة هي الرُّبَّان "بلود" . »

فصاح الكولونل ، في محدثه وقد كاد الغضب يخنقه :

— « ماذا تقول ؟ أنت مجنونٌ يا لورد ؟ ! »

— « كلا لستُ بمجنون يا سيدى الكولونل ؛ ولكن يخيّلُ لى أن
ابنة شقيقك تحب الرُّبَّان "بلود" . »

فازداد الكولونل سُخْطاً و غَضَباً ، كما ازداد حقداً على « بلود » فصاح :

— « سوف أنتزع من قلبها هذا الحب ... سوف أردها إلى الصواب . »

— « إن ابنة شقيقك يا سيدى الكولونل لا يؤثر فيها العنف والشدة ...

إنها من أولئك الفتيات اللواتى يُخْلِصْنَ لمن أحبين كل الإخلاص ، فإن
لم أكن مخطئاً فى ظنى فسوف تنتظره ما عاشت حتى تزف إليه . »

— « لعلها تلتمس وجه الصواب إذا مات هذا المجرم اللعين ! »

— « لعلها ! . . . »

— « إن هذه الحرب بيننا وبين فرنسا ، تسمح لنا يا عزيزى اللورد

بأن نهاجم جزيرة السلحفاة ، فإذا انتصرنا على القراصنة ، وأنزلنا بهم
خسارة فادحة ، وقبضنا على "بلود" علا شأننا فى عين الوزارة الجديدة ،



110

البحرية لا تقومُ على وفرة المدافع فقط ، وأن بينه وبين ذلك الأميرال الفرنسي حساباً يجب أن يسوّيه .

ونشط « بلود » إلى أعوانه ، فأنهى إليهم ما أراد أن ينهى من أوامر ونصائح ، وقاد سفينته إلى الميناء ، وخفّت السفينتان الفرنسيتان إلى استقباله وهما تَطْلِقَان قذائف النار والحديد ، ونَشِبَتْ بين السفن الأربع معركة هائلة تُشِيبُ لهُولها الولدان ، وأظهر « بلود » من البراعة في القتال وقيادة الرُّجال ما أدهش ضيفيه العظمين ، ولاسيَّما عندما التحمت السفن ، ووثب « بلود » ورجاله إلى الأعداء يُعمِلُون فيهم الطَّعْنَ والضَّرْب .

وانجلىت المعركة عن انتصارٍ باهرٍ أحرزه « بلود » ورجاله ، فأعادوا
الجزيرة إلى أصحابها ، وأنزلوا الرايات الفرنسية التي كانت تخفق فوق المباني
والمنشآت ، وقدم « بلود » إلى حاكم جزر « الأنتيل » كل ما كان في
السفينتين الفرنسيتين من كنوز وأموال ، وقال إنه يعدُّ نفسه ويعدُّ رجاله
في خدمة الملك « جيئوم دورانج » ملك إنجلترا ، فهذه الأسلاب إنما
هي ملك الدولة .

ونزل الرجلان العظيمان إلى البرّ ، وأشارا إلى « بلود » أن يصحبهما في سفري من كبار أعوانه إلى قصر حاكم المدينة ، فلما وصلت تلك الكوكبة من الرّجال إلى رصيف الميناء ، التفت « بلود » إلى جهة البحر ، ومَسَحَ دمعَين كبيرَين انسكبتا على خده ... ذلك أنه رأى سفينته المحبوبة

ولعلنا لن نلتقي بعد اليوم ، فلنفترق صديقين ... لقد أسأت فيك الظن
فعذراً جليلاً ... »

وكان « بلود » ساهماً واجماً كمن أفاق من حلم ، فأمسك بتلك اليد
المبسوطة إليه وقال :

— « وهل يصحبك اللورد "ويد" إلى مزارع عمك ؟ »

فقلت في لهجة حازمة :

— « أغلب الظن أن اللورد سيعود إلى إنجلترا، فما من سبب يدعو
إلى البقاء معنا في هذه الديار . »

وأحسَّ «بلود» بأن قلبه سيثيبُ من صدره فرحاً وسروراً، وسجبت
«أرابلا» يدها من يده وقالت وهي تتجه إلى الباب :

— «أستودعك الله يا سيدي الحاكم !»

وكان «بلود» أسرع إلى الباب منها ، وقد فتح ذراعيه ليضمها إلى صدره ، فاحمر وجهها وقالت :

— «طريقة قرصان... دغنی یا سیدی أخرج.»

– «أرابلا» أحقاً تريد أن أدعك تنصرفين ، وأن لا نتقابل أبداً بعد اليوم ؟ إن بقائى فى هذه البلاد لن يحلو لى إلا إذا كنت إلى جانبي . . . ولكن لماذا تبكين يا عزيزتى «أرابلا» ؟ بماذا أسأت إليك ؟

– «ظننتُ أنك لن تفصح لى فى يوم من الأيام عن حبك ؟»

— « ذلك أنى علمتُ أن اللورد "لويد" قد خطبك إلى عمك . »

— « ما عرفتُ إلاّك حبيباً يا "بلود"، »

وفي تلك اللحظة كان الكولونل « بيشوب » قد عاد بأسطول « الأنريل » فلم يكّد ينزل من سفينته بصحبة اللورد « ويد » ويستقل معه الزورق ، ويصل إلى الرصيف ، حتى تقدم منه أحد الضباط وقال له :

— « يا سيدى الكولونل "بيشوب" ! باسم الدولة أقبض عليك ! »
فاحتقن وجه الكولونل وصاح فى الضابط :

— « أتقبض عليّ أنا ؟ ! »

— «بأمر حاكم "الجماييك"»

— « أجنون أنت يا هذا ؟ أنا حاكم الجلامايك ! »

— « كنتَ حاكمَ "الجماماييك" ... ولكن الحاكم العام لجزر
"الأنثيل" وقد رحلَ منذ قريب يتفقد الجُزُر ، قد عاب عليك غيابك
عن المدينة في هذا الوقت فخلعك من منصبك ، وربما أتهمك بالخيانة
العظمى لأنك من أعوان الملك "جاك" فلن يكون مصيرُك بعد ذلك غير
الشنق . . . »

فقال الكولونل وقد بدأ العرق البارد يتصبب من جبينه :

— « أَتَهِمُ بِالْحَيَاةِ الْعِظْمَى وَأَسْتَنْقِ؟! » فَقَالَ الضَّابِطُ :

— « أجل يا سيدى الكولونل. ألم تعرف أن الملك "جاك" قد هرب من إنجلترا والتجأ إلى فرنسا ؟ أما علمت أن الملك "جيوم دورانج" »



A33A1A

